مناظرات القرآن الكريم ومحاوراته

١ — مناظرات القرآن

٢ — محاورات القرآن

المناظرة والمحاورة ضربان من ضروب الأدب ، يعتمد على كل منهما العلماء والأدباء في ابداء ما يرمون اليه من المقاصد والأغراض ، بأسهل الطرق وأوسعها . فالمناظرة تحقق المطلوب بالدليل البرهاني أو الأقناعي الخَطابي . والمحاورة تكشف وتقرب الوصول الى مطلب يراد جلاؤه .

والمناظرة :ـ هي توجه المتخاصمين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب ، أي أن المتخاصمين اللذين مطلب أحدهما يغاير مطلب الآخر ، اذا توجه كل منهما الى إثبات مطلبه ، من طريق النقل الصحيح عمن لا يرد عليه ، أو بأقامة الدليل المؤلف من مقدمتين : صغرى وكبرى ، على شكل من الأشكال المنطقية ، وكان غرضها من هذا التوجه إظهار الصواب ، فهو المناظرة ، مأخوذة من النظير ، بمعنى أن يعد أحدهما نفسه نظيراً للآخر في مقام المناقشة والتعليل والإثبات المتصل بالموضوع . أو هي مأخوذة من النظر ، أي الإبصار ، من حيث إن كلاً من المتخاصمين ينظر الى الآخر عند المباحثة . أو هي مأخوذة من التَنظِرة ، من حيث إن كلاً منهما ينتظر الآخر ريثما ينتهي من كلامه فيتوجه اليه بالرد أو التسليم . أو هي مأخوذة من التناظر أي التقابل ، بمعنى أن أحدهما يقابل الآخر عند المناقشة .

ومهما كان الاشتقاق ، فالغرض من المناظرة هو إظهار الصواب ، أي صواب أحد مطلبي المتخاصمين ، فكل منهما يسعى لإثبات دعواه باعتبار أنها هي الصواب . فاذا أدعى زيد أن القول :« انما الأعمال بالنيات » حديث صحيح ، وأنكر خالد هذه النسبة ، أي كون هذا القول حديثاً صحيحاً ، وأصر كل منهما على رأيه ، فتوجه زيد لإثبات دعواه برواية هذا القول عن رسول ﷺ ، بالسند الصحيح ، وتوجه خالد الى دفع ذلك ، كان هذا الحال بينهما مناظرة . وكذلك اذا أدعى زيد أن نشر العلوم في الأمة واجب ، فانكر خالد ذلك زاعماً أنه مستحسن وليس بواجب ، فأصر زيد ـ المدعي ـ على دعواه مستدلاً بان نشر العلوم في الأمة أعداد لقوة فيها ، وكل اعداد لقوة فيها ، واجب . فتكون النتيجة : نشر العلوم في الأمة واجب . فالدليل هنا مؤلف من قضيتين : صغرى ، وهي (نشر العلوم في الأمة إعداد لقوة فيها ، وكبرى ، وهي (وكل إعداد لقوة فيها ، واجب) . وكل من قضيتي الدليل ، أي الصغرى والكبرى مسلم بها بلا شك . والدليل هنا مرتب على الشكل الأول من الأشكال الأربعة للدليل في علم المنطق ، وبموجبه تظهر النتيجة بحذف المكرر في القضيتين ، وهو (إعداد لقوة فيها) . فاذا حذف هذا المكرر في هذا الدليل تكون النتيجة (نشر العلوم في الأمة واجب) . وللخصم ـ السائل ـ أن يعارض دليل المدعي بدليل مقابل ينتج خلاف دليله ، أو ينقض الدليل بدليل آخر ، أو يمنع دليل خصمه أي أن يطلب من المدعي دليلاً على صحة أحدى مقدمتي دليله : صغراه وكبراه . وهكذا تستمر المناقشة بين الطرفين المتناظرين ـ المدعي والسائل ـ على الوجه المذكور ، مع التحلي بالأدب والاحترام المتقابل ، الى أن يعجز أحدهما عن إثبات مراده فيخضع بالتسليم لدعوى خصمه ، لظهور الصواب في جانبه .

هذا أن كان المطلوب بين المتخاصمين إظهار الصواب ، وهو الأصل والركن المهم في المناظرات بين طلاب الوصول الى الحقائق . أما اذا كان الغرض من المنازعة بين الطرفين مجرد إلزام الخصم وإفحامه غير ناظرين الى كونها تؤدي الى ظهور الصواب أو عدمه ، فتسمى

(مجادلة) لا (مناظرة). ومثل هذه المجادلة تقع غالباً بين رؤساء المذاهب الذين تقرر عند كل منهم مذهبه، معتقداً بصوابه، بحيث لا يطمع فيه أن يتحول عنه. وتجري أيضاً بين رؤساء الأحزاب وبين المرشحين في الانتخابات، استكثاراً لأتباع المذهب أو الناخبين، أو أعضاء الحزب، بغية تكبير العدد المؤدي الى قوة في المذهب أو الحزب، أو الى رجحان بعض المرشحين على بعض في الانتخابات. ويكفي في المجادلة أن ينقطع أحد الخصمين عن الجواب في النهاية، ويقع في ربقة الالزام، سواء أكان دليل خصمه مقنعاً في الحقيقة والواقع، أم كان غرضاً للطعن والتزييف في نفس الأمر والحقيقة.

فالغرض من المجادلة وحسط النظر فيها هو الوصول الى إلزام الخصم وإفحامه لا غير.

ويشترط في المجادلة ما يشترط في المناظرة من التمسك بالآداب المقررة المعروفة، الواجب العمل بها عند المناقشة بين الطرفين، الى أن يتحقق الغرض وتنجلي النتيجة.

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن »

واذا لم يقصد من المنازعة بين الطرفين إظهار الصواب ولا إلزام الخصم، بل شيء آخر كاظهار المنازع نفسه عالماً، وكستر جهله في أعين السامعين، فانها تسمى « مكابرة ». فالمكابر لا يطلب من منازعته ومخاصمته إظهار الصواب ولا إلزام خصمه، فقد يظهر الصواب جلياً فلا يسلم به، بل يبقى راكباً رأسه يتشبث بالحشيش، ويستقوي بالحُطام، ويستدل بفارغ القول وهو الحديث. وقد تلزمه الحجة فلا ينقطع عن الكلام، ولا يمسك عن القول، ليستر جهله. ويتمسك بأذيال التمويه والمغالطة، ليغطي نقصه ويخفي عيبه. وقد لا يرجى من المخاصمة في القول ظهور صواب أو تحقيق الزام، أو تثبيت مرام بل مجرد مراجعات في الكلام، ومباراة في الاستدلالات الفارغة، للمباهاة أو التضليل « ومنهم من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ». ومثل هذا يدخل في باب الهذيان والهذر.

فالمخاصمات الكلامية الجارية في الآراء، والمذاهب، والمطالب الأخرى لا تخلو من

أن تكون مناظرة أو مجادلة ، أو مكابرة. وكلها من ضروب الأدب والبحث القيم . وما عداها من القول في الخاصمات الكلامية هُراء ولهوٌ ، لا يتقبله الأدب الصحيح ، وتستثقله الأسماع . وأعلاها المناظرة فالمجادلة . والواهن منها المكابرة .

ومن المناظرات نوع يقوم الدليل في إثبات الدعوى فيها على إجراء أعمال تشهد على صحتها ، أو تؤدي الى تحقيقها فعلاً . ولنا أن نسمي مثل هذه المناظرة بالمناظرة العملية . وما المعجزات التي يأتي بها الرسل والأنبياء إلا من هذا القبيل . وكذلك التجارب والاختبارات التي يقوم بها العلماء لإثبات الدعاوى العلمية من هندسية ونحوها .

ومن المناظرات نوع يقوم على المبادرة بالدعوى مقرونة بدليلها الذي يستحيل أو يتعسر على الخصم ان يدافعه ، لأنه عين الواقع وعين الحقيقة التي يسلّم بها الخصم ، فهو محجوج من أول الأمر ، وفاشل في زعمه ، ومفحمٌ في مناظرته ، أو بالدعوى التي هي من الضروريات الأولية ، والضروري الأولي ما يستلزم نفس تصوره حصول التصديق به ، على حد قولنا الواحد نصف الاثنين . ولنا أن نسمي مثل هذه المناظرة بالمناظرة المنتصرة الدعوى . مثل قوله تعالى « يا أهل الكتاب لم تحاجُّون في ابراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . » وقول الأعرابي (الأثر يدل على المسير ، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ، أفلا تدل على السميع البصير) .

وفي القرآن الكريم مناظرات من الأنواع الثلاثة ـ القولية ، والعملية ، وذات الدعوى المنتصرة .

والأصل في المناظرات ، القولية المستندة الى الأدلة العقلية . فتجري المناقشات بين العقول ، وتنتهي عندما تقنع العقول بصحة الدعوى أو بطلانها . ولا يركن الى العملية إلا اذا لم يكن للعقل وحده مجال لإثبات الدعوى ، بل لا بد أن تقترن حركته بعمل يقوم به صاحب الدعوى ، كما هو الأمر في المعجزات وفي الدعاوى الهندسية ، والتجربية الاختبارية ، وإلا اذا

لم يملك الخصم عقلاً قادراً على مداراة أدلة الدعوى ولا أهلية له في ذلك ، فيلجأ صاحب الدعوى الى أقناعه باجراء أعمال تقنعه أو تلزمه . فينتصر المدعي ويخيب الخصم السائل.

واما المحاورة :- فهي المراجعة في الكلام أي المجاوبة . ومنه التحاور أي التجاوب من حار يحور بمعني رجع يرجع ، والأسم الحور والحوار .

فالمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. وهي ضرب من ضروب الأدب الرفيع العالي ، وأسلوب من أساليبه . فيها استنطاق ، وفيها استفهام ، وفيها بيان ، وفيها شرح وإيضاح ، وفيها شكوى البث والحزن ، وفيها بث ما في الضمير وكشف السرائر ، وفيها وفيها . وفي كتب الأدب فصول طويلة في المحاورات البليغة . وقد أصبح للمحاورة في الأدب الغنائي في العصر الحاضر شأن ذو بال .

وللمحاورة في أدب الدين آثار تستجلب اليقظة ، وتوزع النفوس الجامحة ، وتنبه القلوب الغافلة ، وتستبصر البصائر . فما ألطف محاورة أيوب عليه السلام ، مع أصدقائه ، وهو غارق في بلواه ، وما أدق ما فيها من أدب رفيع وفلسفة قويمة ، تتغلغل في اعماق الأرواح والنفوس ، وقد حاق به الصبر ، واستأسرته الأمراض وناخت عليه الكوارث . وما ابرع مناجاته لربه ، وهو حائر في توجيه الخطاب ، ولاذع العتاب ، حتى وقف بيانه ، وأنعقد لسانه ، إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين ، معترفاً بالضراعة ، مستجيراً بربه من الضراوة ، مقراً أنه قد أنحرف عن قاعدة أهل الصبر واليقين طالباً الرحمة من رب العالمين . محاورة بليغة بين نبي مبتلى وزمرة من أهل الحقيقة الصادقين. سطرتها كتب الدين القديمة ، وأشار اليها القرآن العظيم بإجمال بليغ وتعبير دقيق .

والقرآن الكريم طوى في صحائفه القويمة ، طائفة من المناظرات العجيبة ، والمحاورات البليغة ، في مواضيع جوهرية شتى ، دفعني حب استجلاء بعض حقائق القرآن الى تتبعها ، وإفرادها بالبحث .

واليك نماذج مما وصل اليه فهمي منها :

المناظرات :

— ١ —

« ألم تر الى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر » .

(حاجّ) حاجج أي ناظر . أدغمت الجيم الأولى في الثانية : (بُهت) انقطع وسكت وتحيّر . وهذا الفعل من الأفعال الملازمة لبناء المجهول ، على الأرجح .

موضوع المناظرة : دعوى إبراهيم عليه السلام (ان الله تعالى هو الرب) وقد استدل على ذلك بأنه يحيي ويميت ، أي يهب الحياة لما يشاء من الأجسام فتنموا أو تنموا وتتحرك ، فتؤتي ثماراً مادية ومعنوية ، وتختص بميزات الحياة المعروفة في علم الأحياء . ثم ينزع منها الحياة فتموت وتعود الى سيرتها الأولى . وترتيب الشكل المنطقي هكذا :

الله يحيي ويميت . وكل من يحيي ويميت فهو الرب — والترتيب من الشكل الأول — وعند حذف الوسط وهو (يحيي ويميت) تكون النتيجة : الله هو الرب . وقد عارضه خصمه الملك بدليل مماثل — على زعمه — فقال أنا أحيي وأميت ، لأني أعفو عمن يستحق الاعدام فأكون قد أحييته أي وهبته حياة ، وأعدم من أشاء من الناس فأكون قد أمته أي سلبت منه الحياة . وترتيب دليله المنطقي على الشكل الأول ايضاً : أنا أحيي وأميت ، وكل من يحيي ويميت فهو الرب فالنتيجة : أنا الرب . ولم يشأ ابراهيم عليه السلام أن يدخل في ابطال دليل خصمه بأنه مغالطة فان الإحياء والإماتة اللتين يقدر عليهما ، هما غير الإحياء والإماتة الحقيقيين الواقعيين في الموجودات التي يصبح بهما المعدوم موجوداً ثم يعود الى طبيعته . لأن خصمه سيذهب الى مغالطة تلو مغالطة لئلا يضطر الى التسليم ، لذلك

عدل الى دليل آخر واضح المعنى لا تتأتى المغالطة فيه فقال :

إن الله يأتي بالشمس من المشرق (أي) وكل من يأتي بالشمس من المشرق فهو الرب ، النتيجة : (الله هو الرب) . فان كنت رباً فأت بها من المغرب ، لكنك لا تقدر على ذلك . فلست برب . وهو قياس استثنائي إقتراني ، وهو من الأقيسة المنطقية الصحيحة . ولم يقل له فأت بها من المشرق ان كنت ربا ، لأن كون ذلك من فعل الله تعالى أمر مسلم به ، يسلم به الخصم نفسه ، فانها تطلع من المشرق من قبل أن يوجد الخصم .

وليلاحظ أن الأقيسة المنطقية عملية كانت أو شرطية تعتبر صحيحة لا مناص من قبول نتائجها ، ان جاءت وفق الشروط المقررة لها في علم المنطق . فهي عندهم كالنتائج الرياضية قطعية لا تحتمل الشك .

— ٢ —

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » .

دعوى المخلص : الشيطان عدو لكم . لأنه يدعوكم الى الفقر ويطلب منكم الفحشاء ويأمركم بها . وكل من يعدكم الفقر ويأمركم ويطلب منكم الفحشاء فهو عدو لكم . فالنتيجة : الشيطان عدو لكم . أي والعدو يجب أن يُجانب ويخالف ولا يُطاع . وكأنّ الخصم يمنع ضرورة اللجوء الى غير أليفه الذي يُلزمه الدليل بمفارقته والتجافي عن سلوك طريقه . فأقام المدعي دليلا على هدم هذا المنع الذي لا سند له فقال :

الله يعدكم بالمغفرة والفضل (أي ويدعوكم الى التمسك بأسبابها ،) وكل من يعدكم بالمغفرة والفضل فهو الذي يجب أن يطاع ويُلجأ اليه . وعند حذف الوسط تكون النتيجة : الله هو الذي يجب أن يُطاع ويلجأ اليه .

— ٣ —

(فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمّيين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغُ واللهُ بصيرٌ بالعباد) .

(حاجّوك) ناظروك . أي في الدين . (أسلمت وجهي لله) أخلصت نفسي لله وحده ، أو أخلصت اتجاهي في ديني لله وحده . (البلاغ) التبليغ أي ايصال الأمر لمن يراد إيصاله اليه .

وجه المحاجّة :

الدعوى أنا على الهدى . لا أنتم .

لانني أخلصت وجهي لله — وكذلك من اتبعني — وكل من أخلص وجهه لله فهو على الهدى . والنتيجة : أنا على الهدى .

وكل من المقدمتين واقعية مسلم بها فالنتيجة قطعية . فان المقدمة الأولى (الصغرى) . واقعية مسلم بها لانه جاء لنشر التوحيد الخالص ، فلا شريك ولا وثن .

وكذلك المقدمة الثانية (الكبرى) واقعية مسلم بها إذ لايشك أحد في ان من أخلص دينه لله فهو على الهدى . فالنتيجة إذاً قطعية منطقاً . فلله الدين الخالص .

لا أنتم، أي لستم على هدى . لأنكم لم تخلصوا دينكم لله ، لأنكم بين مشرك أو وثني ، وكل من لم يخلص دينه لله فليس على هدى . والنتيجة : لستم على هدى ، بل في ضلال مبين . وكل من المقدمتين واقعية مسلم بها فان كون المخصوم أما مشرك أو وثني وهي المقدمة الصغرى ، أمر واقعي لانكران فيه . فلا إخلاص لهم في دينهم . وكذلك المقدمة الكبرى وهي : (كل من لم يخلص دينه لله فليس على هدى) أمر يسلم به كل ذي دين أو عقل سليم . فالنتيجة اذاً قطعية منطقاً ، فالخصم في هذه المناظرة مضطر الى الإذعان والتسليم إلا إذا كان مكابراً معانداً . والمكابر المعاند ليس بذي بال ، ولا يحسب له حساب .

— ٤ —

« فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالَوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

(حاجّك) ناظرك — أي طلب مناظرتك — . (نبتهل) ندعو باخلاص واجتهاد . ونتضرع الى الله جاعلين في دعائنا لعنة الله على الكاذب منا في دعواه .

مناظرة ، دليل الدعوى فيها طلب اداء عمل تنأى به خطيرة جداً على الخصم . وهي تحقق لعنة الله على الكاذب في دعواه . وهذه من المناظرات التي طلب أحد الطرفين فيها فعل شيء يؤدي إلى إثبات دعواه ، فانسحب الطرف الثاني عن ذلك لما ظهر له من أن ذلك الفعل يسوقه الى الخسران المبين .

وهذه الواقعة جرت بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران الذين وفدوا الى المدينة لمناظرته في أمر رسالته . ولما كانت دعوى النجرانيين لايمكن مناقشتها من ناحية العقل ، أو لأن الوفد لايحمل عقلاً يقوى على المناظرة العقلية ، طلب عليه السلام من خصومه أن يقوموا بالمباهلة . فانسحبوا من الخصام .

— ٥ —

« يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » .

هذه مناظرة من النوع الثالث التي تكون دعوى الخصم فيها ساقطة بذاتها فلا تحتمل المناقشة وإقامة الدليل لان سقوطها من البديهيات الواضحة لكل أحد ، ودعوى المدعى هي المنتصرة . فهنا ادعى الإسلام أن ابراهيم كان حنيفاً أي مسلماً ، وادعت طائفة أن إبراهيم كان يهودياً ، وادعت طائفة أنه كان نصرانياً . فجاءت المناظرة مقررة سقوط الدعويين بنفسها من نفسها وثبوت الدعوى الأولى ، لان اليهودية انما جاءت بنزول التوراة ، والنصرانية انما حصلت بنزول الانجيل . وكل من التوراة والانجيل إنما نزل بعد إبراهيم بعصور . فكيف يعقل ان يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً . ولهذا ختم الكلام بتقريع الخصم بأنه يناظر بلا

تثبت في الأمور فهو يناظر فيما له علم به وفيما ليس له به علم ، وليس هذا من شأن المناظر الذي هدفه إظهار الحقائق لا طمسها ، والمناقشة في أمر يمكن ان يتخيل حصوله ، لا في أمر محال بالبداءة والضرورة .

— ٦ —

« وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان . ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء الله ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ... » .

(حاجه قومه) جادله قومه (يلبسوا) يخلطوا . (إلا أن ...) لكن مشيئة الله هي التي تكون . (سلطانا) حجة ودليلاً . وأصل السلطان القوة .

الدعوى : الخوف عليك من أصنامنا .

الدليل : لأن أصنامنا آلهة وكل الآلهة يُخاف منها .

الجواب بمنع الصغرى : الإله هو الله وحده ، لانه هو العالم بكل شيء — وسع كل شيء علماً — وأصنامكم جماد لا تعرف شيئاً حتى نفسها ، وكل من كان جماداً لا يعرف حتى نفسه ، ليس بإله ولا خوف منه . فاصنامكم لا خوف منها . فلا أخاف ما تشركون بالله من غير دليل تقيمونه ولا حجة تعتمدون عليها . فانتم أولى بالخوف من العاقبة ، لا أنا . فأي الفريقين أحق بالامن ؟

ولهذا ختم الكلام بقوله — وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه .

وللخصم المدعي ان يمنع دليل السائل أو أن يعارضه ، أو أن ينقضه . ولكنه عاجز عن كل ذلك هنا لأن دليل السائل المجيب أمور قطعية واقعية لا يستطيع الخصم نكرانها والمناقشة في ثبوتها .

— ٧ —

« إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء . قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً » .

(الكتاب الذي جاء به موسى) التوراة (القرطاس) الكاغد والصحيفة من كل شيء (تجعلونه قراطيس) أي تجعلون التوراة أجزاءاً مفرقة مقطعة تخفون على الناس منها ما يكون حجة عليكم وتبدون الباقي .

الدعوى : لست نبياً ، ولم ينزل عليك شيء .

الدليل : لانك بشر ولا ينزل الله على بشر شيئاً .

نقض الدليل : لو كان الله لا ينزل على بشر شيئاً لما أنزل على موسى كتاباً ، لكنه أنزل على موسى كتاباً تؤمنون به ، فيه بيان ، وفيه هداية ، وموسى بشر ، فدليلكم منقوض . فنقض دليل الخصم جاء هنا بقياس استثنائي لا يستطيع الخصم المدعى انكاره أو معارضته ، فهو مُلزم في مجادلته .

— ٨ —

(وأمرت أن أسلم لرب العالمين . هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ... ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنّى يصرفون) .

(أن أسلم) أن أخلص ديني لرب العالمين .

(أنّى يصرفون) كيف يقبلون الإنصراف عن التوحيد مع قيام الدليل عليه من أنفسهم .

الدعوى : حق الدين أن يكون خالصاً لله .

الدليل : لأنه هو الذي خلق الانسان أطواراً : من تراب ثم نطفة ثم علقة ، ثم وثم ، إلى

أن صار شيخاً . وكل من كان كذلك فحق الدين أن يكون خالصاً له لا حق لأحد آخر أن يشاركه فيه .

وللخصم المناظر أن يعارض في دليل المدعى أو أن ينقضه ان استطاع أو أن يمنع مقدمة من مقدماته . ولكن كل ذلك يتعذر عليه هنا ، إذ كل أحد يعترف بأن لا خالق غير الله ، إلا الملاحدة المنكرين ، والكلام ليس معهم . — وليسوا في الحسبان — . وإذا أريدت مناظرتهم فهنالك أدلة أخرى تتوارد في مناقشتهم وتُفحمهم حتماً .

— ٩ —

« إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . ألهم أرجلٌ يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها أم لهم أعينٌ يبصرون بها أم لهم آذانٌ يسمعون بها قل ادعو شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . إن وليّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين . والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » .

(كيدون) الكيد المكر والحيلة . (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) .

أي ترى الأصنام كأنها تنظر إليك لدقة صنعها ولكنها لا تبصر شيئاً لأنها لا حياة فيها .

الدعوى : إن الأصنام التي تدعونها عباد لا آلهة .

الدليل : لأنها ناقصة في ذاتها : لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع ولا تستطيع نصراً لنفسها . وكل من كان كذلك فهم عباد لا آلهة .

النتيجة : الأصنام التي تدعونها عباد لا آلهة .

ودليل عملي آخر ، — ومناظرة عملية — : هي الطلب من الخصم أن يدعو أصنامه فلتستجب لهم . ولكنها لا تستجيب بلا شك ، وأن يستنصروا بها فلتنصرهم . ولكنها

لا تنصر أحداً بلا شك ، وأن يُرشدوها إلى الطريق ، ولكنها لا تسمع كلامهم فضلا عن أن تهتدي . ثم ليتدبروا في أصنامهم فيروا أنها صور ودُمى كأنها تنظر ولكنها لا تبصر . فكل هذه الأعمال المطلوبة من الخصوم هنا تدل نتائجها على نفي الألوهية أو أي أثر منها عن تلك الأجسام الميتة .

— ١٠ —

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

(افتراه) اختلقه وتقوّله . (ان كنتم صادقين) أي ان كنتم صادقين في دعواكم افتراء القرآن فأقيموا الدليل على ذلك . فدعوى الافتراء ممنوعة .

والدليل هنا على منع دعوى الافتراء ، هو ان يأتوا بسورة واحدة مثله معنىً وبلاغة وحلاوة وحكمة ، على ان لهم أن يستعينوا في ذلك بمن شاءوا من دون الله . وكان قد تحداهم قبل هذا بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، فعجزوا ، ثم تحداهم هنا بان يأتوا بسورة واحدة مثله فعجزوا أيضاً . فلو كان القرآن افتراءاً لسهل عليهم الاتيان بمثله لان الافتراء مكسب سهل ، ولكنه مفضوح .

وهذه مناظرة عملية بين النبي (ص) وبلغاء العرب في زمانه ، فانهم ادعوا ان القرآن افتراء على الله . وناز عهم النبي (ص) مبطلاً دعواهم بان طلب منهم أن يأتوا بسورة مثل سور القرآن ، وهم عرب مثله ، فعجزهم دليل على بطلان دعواهم ، وامتناعهم عن محاولة الإتيان بمثله دليل على صحة انه وحي يوحى ، علمه شديد القوى . على حد ما جاء في مناظرته لعلماء نجران إذ قال لهم : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . فاذ لم يتقبلوا الدخول في المباهلة ، وانسحبوا من المناظرة ، ثبت انه هو الصادق الأمين ، وهم الكاذبون في مزاعمهم .

— ١١ —

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » .

مناظرة دليل الدعوى فيها قياس استثنائي برهاني .

المدعي : الموحِّد .

الخصم السائل : المشرك من ثنوي وغيره .

الدعوى : الإله واحد في السماوات والأرض . وهو الله واجب الوجود .

الدليل : لو كان في السماوات والأرض إلٰه غير الله تعالى لفسدتا ، ولكنهما قائمتان — إلى ما شاء الله — لم تفسدا ، بدليل الحس والمشاهدة . فليس فيهما إلٰه غير الله .

وشرح هذا الدليل الموجز العبارة ، القوي الإشارة ، الدقيق المعنى ، الأصيل المبنى ، انه لو كان للعالم إلٰهان ، فأما أن يتفقا في إرادتيهما ، فلا معنى إذاً ولا موجب لتعدد . لأن إرادة أحدهما كافية على هذا الفرض ، فلا وجه لتصور إلٰه آخر . وأما أن يختلفا في الإرادة ، وحينئذ أما أن تغلب إرادة أحدهما إرادة الآخر فالمغلوب عاجز والعاجز ليس بإلٰه ، وأما أن تكون إرادتاهما متعادلتين في القوة ، فيحصل التصادم بينهما ، هذا يريد أن تبقى الجبال — مثلاً — أوتاداً ، وذاك يريد أن يدكها دكاً ، فيتصادمان وكل منهما قادر على تنفيذ إرادته ، فيفسد العالم . ولكن العالم قائم لم يفسد ، فلا تصادم ولا تعدد ، بل هو إلٰه واحد . وهو الله تعالى .

والخصم ليس في مقدوره أن يعارض أو يمنع أو ينقض الدليل ، لأن المشاهدة تكذبه ، والحسّ يرده . فانّ العالم قائم غير فاسد ، وصالح مؤسس على نظام دقيق ، تتجدد عجائبه كل يوم ، وتتكشف غوامضه حيناً بعد حين . وتتجلى دقائقه للناظرين . فهو من صنع واحد عليم حكيم .

المحاورات :

— ١ —

« وإذ قال موسى لقومه يا قوم ... قالوا يا موسى إن فيها ... قال رجل ... قالوا يا موسى ... قال رب إني ... قال فانها محرمة ... فلا تأس على القوم الفاسقين »[1] .

محاورة كشفت عن سجايا قوم موسى من نكران نعم الله تعالى ونسيانها ، والخوف الشديد من العدو والجبن في الشدائد ، والعصيان لأوامر الله ، وأنهم مجبولون على الجزع ، ومستحقون للعقاب . فهم المغضوب عليهم وهم الفاسقون . فلا تؤسى عليهم .

فالمحاورة جاءت كالشرح والإيضاح لحالتهم المكروهة وجبلّتهم الكدرة ، متضمنة لعلل وأسباب استحقوا بها العقاب الشديد والعذاب الأليم : (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) .

— ٢ —

« قال ما منعك ألا تسجد ... قال أنا خير منه ... قال فاهبط ... قال أنظرني .. قال إنك

---

(١) سورة المائدة :

« إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى إنا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الظالمين

من المنظرين ... قال فبما أغويتني ... قال اخرج منها [1] » .

(الصاغر) الراضي بالذل . جمعه الكسر صَغَرة . (أنظرني) أخّرني . (غوى) ضلّ. وغواه غيره وأغواه ، أضله. (مذءوما) مذموماً محقراً ، من ذأمه أي ذمّه وحقّره وطرده وخزاه . (مدحورا) مطروداً . من دحره أي طرده وأبعده .

محاورة تصور لنا جراءة الجاهل المغرور ، الذي دفعه غروره الى الخروج عن دائرة الأدب ، فاستحق الطرد والذم والحرمان ، وساقه صلَفه وحماقته الى معارضة مشرع الشرائع ، ومبدع البدائع ، إذ نصب نفسه مشرعاً ، استناداً الى قياس باطل — خلقتني من نار وخلقته من طين — فاستأهل الهبوط من أعلى معارج الكمال ، والخروج من رياض الأنس والجلال ، فرضي لنفسه الذل والصَغار ، وأخذ الحسد يأكل روحه ، ويمزق قلبه ويعيب لبّه . فصار يهذي بما لا يجديه نفعاً ، ولا يصلح له أمراً .

محاورة فيها عبرة لكل عالم مغرور بعلمه ، وعظة لكل متكبر جبار .

— ٣ —

(وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ... قال إن كنت جئت بآية .....

قال الملأ من قوم فرعون ... قالوا أرجه [2]) . (الملأ) الأشراف والعلية .

(١) سورة الأعراف :

قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين . قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال أخرج منها مذءوما مدحورا .....

(٢) سورة الأعراف :

وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين . فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون أن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم فاذا تأمرون . قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين .

(أرْجِ) أخّر (وأخاه) معطوف على الضمير المفعول المتصل بأرجِ ، أي أخرهما الى أن تجمع لهم السحرة (حاشرين) جمع حاشر اسم فاعل من حشر بمعنى جَمَع .

محاورة بين صِدّيق رسول ، مؤمن برسالته ، واثق من نفسه ، مصر على صحة دعواه ، مثبت ذلك بالمعجزات القاهرات والدلائل الواضحات ، وهو لا يملك من الأمر إلا صدق النية ، وحق القول ، وقويم العمل . وبين جبار غبي متكبر ، أطغته خيله ورجله وأبطره ماله وأهلوه وجنوده ، وقد أحاط به المنافقون الملامعون من ملأ قومه ، الضالون المضلون .

محاورة تحكي ظهور الحق ولو كان ضعيفاً ، على المبطل ولو كان بالغ القسوة ، معتصماً بالحصون والسلاح . تذكرة لأولي الألباب .

— ٤ —

« ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه... ان لا تعبدوا إلا الله... فقال الملأ... قال يا قوم ... قالوا يا نوح قد جادلتنا ... قال إنما يأتيكم ... » (١) .

(أراذلنا) جمع أرذل وهو الدون في منظره وحالاته ، كالرذيل . (بادئ الرأي) أول الرأي ، أي أول وهلة وقبل التدبر فيه . (عُمِّيَت عليكم) خفيت عليكم .

محاورة بين رسول كريم وبين المرسَل اليهم من شعبه . رسول عزّ عليه أن يمتنت قومه ، وشعب أضله ملؤه المسيطر عليه فحال بينه وبين الاستجابة للرسول الحريص على هدايتهم .

محاورة تفضح استخفاف الملأ بسواد الشعب ، واسترذالهم اياهم ، — وما نراك

(١) سورة هود : ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه إني لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين .

اتبعك إلا الذين هم اراذلنا ـ وتعبّر عن ضيق صدور الزعماء المضلين ، لكِبْرٍ في نفوسهم وجهل بأقدارهم ، وتسرُّع في حكمهم ، وعدم التدبر في العواقب ـ يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ـ ، وتسجل فساد قياسهم ، وتصوِّر رحابة صدر الرسول ، وطيب لسانه .

— ٥ —

« فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها ... قال هل علمتم ما فعلتم ... قالوا إنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا ... قالوا تالله لقد ... قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم »[1] .

(مزجاة) مدفوعة أي يدفعها كل من رآها لرداءتها من زجّ بمعنى دفع (آثرك) اختارك وفضلك علينا (لا تثريب عليكم) التثريب اللوم والتغيير بالذنب . والمراد لا عتب عليكم .

محاورة بين إخوة أوقع الحسد بينهم شر ما يوقعه العدو بعدوه ، فلم يتورع الحاسدون عن إلحاق أشد القسوة والأذى باخيهم المحسود على حب أبيهم إيّاه ، الذي صبر صبراً جميلاً ، وأظهر من العفة والطهارة والوفاء والصدق ما دلّ على زكاة نفسه وطيب محتده وصفاء روحه ، فنظفر بالمراتب العليا في الدارين . ثم عامل حاسديه الذين طوّعت لهم أنفسهم إهلاكه أو إذلاله ، بخير ما يعامل به أسخ كريم حنون إخوةً له فقراء ضعفاء ، قد دفعهم جزاء عدوانهم عليه الى سلطانه وحكمه ، فلم تسمح له سجاحته وإسجاحه ، وعظيم خلقه ان يذكّرهم بسوء ما عملوا ، بل لم يشأ أن يُخجلهم بأن يُبدوا الاعتذار من فعلتهم النكراء بعد ما اعترفوا

(١) سورة يوسف :

« فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين . قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون . قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا إن كنا لخاطئين . قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

بخطيئتهم فختم المحاورة وسدّ الباب بقوله لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .

محاورة سجلت ما للتقوى والصبر والاحسان في العمل من حسن العاقبة والظفر بالسعادة ، وما للحسد من سوء المغبّة والخسران المبين .

— ٦ —

« وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره ... قال له صاحبه وهو يحاوره ... وأحيط بثمره ... ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً »[1] .

(يحاوره) يراجعه الكلام . (أعزّ نفراً) أعزّ عشيرة . وأصل النفر ما دون العشرة من جماعة الرجال . (النُطفة) ماء الرجل . والنطفة أيضاً لغة قليل ماء يبقى في دلو أو قربة .

محاورة بين امرئ أطغاه البطر ، فظلم نفسه وكفر بربه ، ونسي نشأته . وبين امرئ عرف نفسه وقدر نعمة ربه ، فحمد وشكر ووعظ وذكّر . فكان مردّ الأول خسراً وندامة ، وعذاباً وضراعة وملامة ، وكان جزاء الآخر نعمة وكرامة ، وراحة وسلامة . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

محاورة تقرر آثار البَطَر والطغيان ، وما يكتسبه الظالم لنفسه من ذل وخسران . وشواهد الحدثان تؤيد ذلك ، وحدثان الدهر تؤكد ما هنالك . فصرعى الطغيان دفنهم التاريخ بأكفانهم السود في حفر ذنوبهم ، وقتلى البطر طلّت دماؤهم ولا رائي لهم ولا راحم . تبصرة وذكرى لقوم يعقلون .

---

(١) سورة الكهف :

« وكان له ثمر فقال له صاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. وما كان منتصراً) .

— ٧ —

« وما تلك بيمينك ياموسى . قال هي عصاي ... قال ألقها يا موسى . فألقاها ... قال خذها ... قال رب ... قال قد أوتيت سؤلك يا موسى » (١) .

(أهشُّ بها) أخبط بها ورق الشجر ليسقط . يقال هشَّ الورق إذا خبطه بعصا ليتحاتّ . (سيرتها) هيئتها وحالتها . والسيرة لغة السُّنة والطريقة أيضاً . (جناحك) جنبك ، تحت العضد إلى الإبط (أشرح) وسع . من شرح الشيء : وسّعه . وشرح لغة بمعنى كشف وفتح أيضاً .

محاورة بين المُرسِل الهادي لعباده ومن يريد أن يجعل فيه رسالته . وقد فتح المحاورة معه بما يملأ قلبه ثقة وإيماناً بالفوز بالنصر في دعواه التي أرسل بها ، من الآيات الكبرى ، والمعجزات المنتصرة التي أراه اياها قبل التلويح بها في المناظرة التي ستتلو المحاورة ، ليكون وقع تكليفه بالرسالة الى طاغية الطغاة ، خفيفاً على قلبه ، سهلاً على صدره الضيق ، لذلك قال : ربِّ اشرح لي صدري . ثم لما شعر بالطُّمأنينة وعزم على الأمر ، طلب إصلاح عضو البيان ، وهو اللسان الذي اختل فيه بالنقصان ، فقال : واحلُل عقدةً من لساني .

محاورة دلّت على أنّ الحق منصور ، وأنّ الباطل مأسور مقهور ، وأن الله أعلم حيث يجعل رسالته .

---

(١) سورة طه :

وما تلك بيمينك يا موسى . قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى . قال ألقها ياموسى . فألقاها فاذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . لنريك من آياتنا الكبرى . أذهب الى فرعون إنه طغى . قال رب اشرح لي صدري . ويسرلي أمري . واحلل عقدة من لساني ... قال قد أوتيت سؤلك ياموسى... » .

— ٨ —

(قالوا إنا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر ... قالوا ربنا يعلم ... قالوا إنا تطيّرنا .. قالوا طائركم ...) [1] .

(نطيّرنا بكم) تشاءمنا بكم ، من الطِّيَرَة وهي ما يُتشاءم به من الفأل الردي"

(طائركم) الطائر ما تيمّنت به أو تشاءمت به .

محاورة بين أهل قرية غشيتهم الجاهلية ، وأرهقتهم الخرافات كالتطير ، فاسرفوا في السوء قولاً وفعلاً ، وبين رُسُل جاءوهم بالبلاغ المبين ، بلهجة صادقة أمينة — إنا اليكم مرسلون — وعبارة واضحة متينة ، مؤيدة بقسم عظيم ، شأن الواثقين بما يقولون — ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون — ولكن أهل القرية أبوا إلاّ الدنيئة فلم يكتفوا بالإنكار والجحود ، بل توثبوا الى الوعيد برجم المرسلين المسالمين والحاق العذاب الأليم بهم ، ولم يستمعوا الى المرشد ، ولم يُصغوا الى صوت الحق .

محاورة كتبت معذرة الهداة المرسلين -- وما علينا إلا البلاغ المبين — وسطرت عقاب الأثمة المسرفين — إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون — والحمد لله رب العالمين .

تِلْك آياتُ الله نتلوها عليك بالحق .

— ٩ —

« إنّا بلوناهم كما بلونا ... فلما رأوها قالوا ... قال أوسطهم ... قالوا سبحان ربنا ...

---

(١) سورة يس :

وأضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم الا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون . وما علينا الا البلاغ المبين . قالوا إنا تطيرنا بكم . لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم . بل أنتم قوم مسرفون .

وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا ... إنا إلى ربنا راغبون [1] » .

(الجنة) البستان . (ليصرمنها) ليقطعن ثمارها (مصبحين) عند دخول الصباح ، تهرباً من إعطاء الفقراء شيئاً . (الصريم) الأرض المحصود زرعها ، والليل . (تنادوا) نادى بعضهم بعضاً (يتخافتون) يتسارُّون في القول لئلا يسمعهم أحد ، مبالغة في التستر . (حرد) منع (طائف) عارض غير مأمول .

محاورة بين شركاء في بستان أينع ثمرها ، وهم أشحّاء عقدوا العزم على التهرب من مواجهة الفقراء عند قطع الغلة كيلا يطالبوهم بشيء منها ، وليحرموهم من حقوقهم – وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم — فاتفقوا على أن يبكّروا مصبحين على قطع الغلة ، وتنفيذاً لاتفاقهم بكروا للعمل ، ولكنهم وجدوا أن جائحة اجتاحت جميع ما يخلوا بشيء منه على الفقير . فأخذوا يتحاورون فيما بينهم آسفين نادمين على ما كانوا قد عزموا عليه وما لقوا من الجزاء الأليم .

محاورة تشرح ما يورثه الشحّ من العاقبة وما تدور به نوايا السوء من الدائرة – ومن يُوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون — .

هذه نماذج مما ورد في القرآن الكريم من مناظرات وحِجاج ، ومراجعات في الخطاب وحوار ، جاءت على الأسلوب العلي الذي جرى عليه الذكر الحكيم في سائر

(١) سورة ن :

إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لو لا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون .

فصوله ومواضيعه ، وأجزائه وسوره ، من إيجاز بليغ يكاد يشرح نفسه بنفسه ، أو إطناب اقتضاه الحال ، فطاب لاسمع أن يُصغى اليه ، ولذّ للفكر أن يستمتع به ، وعذُب بالفم أن ينطق بطول جمله ووسيع عباراته .

تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيه من ربِّ العالمين .

منير القاضي